إضاءة

انشغلت الباحثة المصريّة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» بتفسير القرآن بيانياً، انطلاقاً من سماته الأدبيّة والأسلوبية باعتبارها ـ وهذا ما اجمع عليه القدماء ـ مظهرَ الإعجاز الأهمّ وعماد التحدّي الذي أعجزَ العربَ أن يأتوا بمثله

نجم الدين خلف الله

رغْم موجات الإعجاب التي أثارها التفسير العلميّ الحديث للقرآن فإنّه لم يُقنِعْ الباحثة المصريّة عائشة عبد الرحمن، المعروفة بلقب بنْت الشّاطئ (1913 - 1998)، والتي تَخصّصت في تحقيق كُتب التراث بعد أن تَشبّعت بدروس التفسير والبلاغة منذ صباها. فقد كان المشهد التفسيريّ، في سَبْعينيات القرن الماضي، مُوزّعاً بين التّوظيف السياسيّ الذي مثّله «في ظلال القرآن» لسيّد قطب (1906 - 1966)، والإعجاز العلميّ الذي تبنّاه مصطفى محمود (1921 - 2009) وأجاد عرضه في كُتبه وبَرامجه التلفزيّة، حتى صار كلّ واحدٍ منهما يترك الآية جانباً ويركض بعيداً في عرض النّظريات الجيولوجيّة والسياسية.

ولذلك، أكبّت بنت الشاطئ، بدعم من زَوجها أمين الخوليّ (1895 - 1966)، على إظهار السّمات الأدبيّة والبيانيّة للنصّ القرآني باعتبارها ـ وهذا ما أجمع عليه القدماء ـ مظهر الإعجاز الأهمّ وعماد التحدّي الذي أعجزَ العرب أن يأتوا بمثله. وقد جاء كتابُها «التفسير البياني للقرآن» في جزأيْن، صدر الأوّل منهما سنة 1962 وشمل سوَر: «الضحى»، «الشرح»، «الزلزلة»، «العاديات»، «النازعات»، «البلد»، «التكاثر»؛ والثاني سنة 1968 وفيه تناولت: «العَلَق»، «القَلَم»، «العصر»، «الليل»، «الفجر»، «الهُمَزة» و«الماعون». وربّما كانت تنوي مواصلة شرح كتاب الله بأكمله، لولا أنها ذاقت في المشروع شدّة عَناء، أو لعلّ ما أنجزَتْه كان مجرّد «بروتوكول» تفسيريّ، تَاركةً مهمّة إكماله وتطبيقه على سائر السوَر لمَن سيأتي بعدها من الدارسين. لكن، وحَسب علمنا، لم نَرَ مَن تصدّى لهذه المهمّة ولا تقحّمها، لصعوبتها.

وأمّا المنهج المُتّبع فتؤكّد أنّه يقوم على «استقراء اللفظ القرآنيّ في كلّ مواضع وُرودِه، للوصول الى دلالتِه، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كلّ نظائرها في الكتاب المحكم وتدبّر سياقها الخاصّ في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحَف كلّه، التماساً لسرّها البياني». ويحتلّ التحليل المعجميّ لمعاني مُفردات القرآن مكانة مركزيّة في هذا المنهج، عبْر العودة إلى كلّ السياقات الأخرى التي وَردت فيها تلك المفردات، رغم أنّ هذه الطريقة لا تخلو من مآخذ، فمعاني كلمات القرآن يُمكن أن يكونَ قد طاولها التطوّر حسب السياقيْن المكّي والمدنيّ، ولا يبعد أن تتغيّر على مدى اثنتيْن وعشرين سنة.

شيّدتْ بنتُ الشاطئ تفسيرَها لهذه السوَر المختارة على مبدأ «المَلْمَح البلاغيّ»، أي: النقطة التي تَشتغل في النصّ بمثابه المُولّد العام للمعنى (أو isotopie، حسب تسمية السيميائي الفرنسي غريماس)، وهو المُتحكّم في الدلالة الإجماليّة وبه تُعلّل كلّ الاختيارات المعجميّة والبلاغيّة داخل السّورة الواحدة. والمَلمح البلاغيّ ظاهرة أسلوبيّة تربط بين مكوّنات النصّ، وهو أدقّ من مفهوم القيمة البلاغيّة العامّة التي تُستخرج من خلال التحليل البلاغي المُتوارَث عن القدماء.

بنت الشاطئ دعوة للتلاقي حولَ نصّ جامِع
الأسلوب القرآني مدخلاً للتفسير

بنت الشاطئ في بورتريه لـ لنس عوض (العربي الجديد)

فهي مثلاً حين تحلّل أسلوب «القَسَم»، المستخدم في أوائل سوَر «الضحى» و«العاديات»، لا تذهب إلى ما اعتمَده المفسّرون القدامى جميعاً، منذ الطبري الى محمد عبده، من كونه دالّاً على التأكيد وتعظيم المُقْسَم عليه، بل باعتباره ملمحاً أسلوبيّاً يفيد في ربط مقصد السورة بكلّ معنى من معاني الآيات اللاحقة بل وكلّ كلمة من كلماتها. وهكذا، تظهر عدم كفاية مبدأ التأكيد هذا، بل وتسبُّبه في وقوع تناقضات وتعسّفات ارتكبها المفسّرون حين حاولوا الربط بين عظمة الله وقسَمه بالتّين أو بالليل، وثمّة في الظواهر الكونيّة ما هو أعظم منها.

وهكذا تمكّنت بنتُ الشاطئ، بهذا المنهج البياني، من تفنيد العديد من التفسيرات القديمة والتعليلات التي أسقطها البلاغيّون والمفسّرون لأنها تناقض العقل ولا تستنفد جمالية النص، ولأنها تُدوولت كتعليلات جاهزة أفضَت إلى تضييق الدّلالة وحَصْرها في نطاقٍ محدودٍ قد يناقض أحياناً المقصدَ الإلهي منها. بل إنّها لا تتورّع عن إجراء ردود حاسمة على ما قالَه أساطين المفسّرين، مثل أبي حيّان والـزّازي والزمخشري، عندما يغفلون بعض اللمحات الثاقبة من أجل السّير وراء آراء جاهزة، أو مُعتقداتٍ كلاميّة وفقهيّة يسعون الى تبريرها، حتى وإن اضاعوا بذلك أصولاً بلاغيّة عزيزة.

ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى استيعابها كلّ التراث التفسيري، فهي تستعرض الآراء السابقة وتنتقي منها ما يدعم الملامح التي تستكشفها في كلّ سورة، وتنتقد ما كان منها متكلّفاً لا ينسجم مع الحيويّة الداخليّة للسورة، والتي لا بدّ من تحريكها حتى يَضوع مِسْكُها. كما أنّها استفادت من المناهج الحديثة التي اهتمّت بدلالة الظواهر الأدبيّة وآليات التحليل الأسلوبيّ النفسيّ التي استخدمها، في مصر طبلية القرن الماضي، اساتيذُها عبّاس محمود العقّاد، طه حسين ومحمد مندور وغيرهم.

وتسعى بمنهجها هذا إلى الردّ على التأويلات الطائفية البعيدة التي أسقطت على النصّ وحرّفت مَعانيه، ليس فقط بسبب التعصّب الديني أو المَذهبي، وإنما بسبب القصور في إدراك السّمات البلاغية وتجاهل روح العربيّة الأصيلة. ولذلك لا تخفي بنت الشاطئ دافعها القومي، وقد كان الظرف العربي وقتها مؤاتياً، بدعوة الغرب إلى التلاقي عند الكتاب العربي المبين بوصفه كتاباً جامعاً، يُنفذ إليه بعيداً عن حجب التأويلات المغرضة والأذواق الأعجميّة. ولئن ركّزت بنت الشاطئ على التحليل الألسني لظواهر الأسلوب القرآنية، فلأنها كانت تخوض معركة في الجامعة المصرية وتناضل من أجل تدريس نصوص القرآن كنصّ أدبي ينبغي أن يُعتنى به إلى جانب الآثار الدنيويّة الأخرى. ولا يزال هذا النّضال وجيهاً إلى حدّ اليوم، حيث يقتصر تدريس القرآن على كونه مدوّنة دينيّة، في أقسام الشريعة والعلوم الدينية فحسب، ولا يُدمج البتّة في أقسام اللغة والآداب العربية، مع أنّه يظلّ، حسب رأيها ورأيي، «كتاب العربيّة الأكبر». ولا تفوتُ الإشارة هنا إلى جماليّة أسلوبها هي، فكأنّها ـ في تفسيرها ـ تصوغ نصّاً على نصّ وتحبّر عليه أثراً بليغاً، إذ كانت عبارتُها ناصعة تُجلي جميلاً من المعاني بأسلوب متين.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

ناضلت كي يُدرس القرآن كنصّ أدبي في الجامعة المصرية

فنّدت بمنهجها البياني تفسيرات قديمة ضيّقت دلالة السوَر

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

حدود حديثة

«الإعجاز» البياني مقولة تتحدر من علم الكلام الذي طوّره المسلمون للردّ على غيرهم والبرهنة على معقوليّة عقيدتهم، «بعد فرضها صحيحة من الشرع»، كما ذكر ابن خلدون. ولا يتأتى اليوم الدفاع عن هذا الإعجاز امام خطابات لا تؤمن بقداسة القرآن، ممّا يستلزم إعادة نشر جديدة لمظاهر ادبيّة النصّ الديني للكشف عن فرادته، دون تعسّف ولا تكلّف ولا إسقاط، وهذه هي الحدود والقيود الحديثة التي على الباحثين التصدّي لها.

مفكرة المترجم

عن معرفة تحُدّ من أثرها الرقابة السياسية
أحمد ليثي

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم الترجمية وأحوال الترجمة إلى اللغة العربية اليوم. «أتحسّس خطواتي مع كلّ كتاب جديد»، يقول المترجم المصري

القاهرة ـ **العربي الجديد**

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

قد أزيّف كلامًا وأقول إنّني كنت أحلم بأن أصير مترجمًا منذ صغري. لكنّك لن تصدّقني أيضًا إذا قلتُ لك إنّ نشر أوّل قطعة مترجمة لي جاء بالصدفة، وذلك حين طلب صديقٌ من يتطوّع لترجمة مقال منشور في المحتوى الإنكليزي لأحد المواقع، فترجمتُه بالفعل. والمفاجأة أنّ الموقع راسلني ليطلب منّي نشر الترجمة في المحتوى العربي الخاص بهم. بالطبع، عزّزتْ مستواي بالعديد من الدورات في اللغة الإنكليزية، ودورات الترجمة. لكن حكايتي مع الترجمة بدأت بشرارة انطلقت من دون أن أدري.

■ ما هي آخر الترجمات التي نشرتها، وماذا تترجم الآن؟

آخر ترجماتي المنشورة هي رواية «قوّة الطبيعة» للكاتبة الأسترالية جين هارير، والتي صدرت مطلع هذا العام عن دار «عصير الكتب». أنهيتُ ترجمة الرواية الأولى لكاتب جنوب أفريقي واعد يُدعى ماركوس لو تحمل عنوان «ملاذ»، وهي قيد التحرير حاليًا، واعتقد أنّها ستصدر قريبًا، وأعمل الآن على الجزء الثاني من رواية «المئة» للكاتبة الأميركية كاس مورغان، وهي رواية خيال علمي تحوّلت إلى مسلسل شاهده الملايين عبر العالم.

■ ما هي، برأيك، أبرز العقبات في وجه المترجم العربي؟

حتى الآن، لم أقابل عقبات بصفتي مترجمًا عربيًا، ولا أؤمن بأنّ اللغة العربية ينقصها الكثير من المفردات والتعبيرات، لكنّ المشكلة تكمن في تكاسُل أهلها. لكن بعيدًا عن العقبات المتوقّعة، مثل صعوبة النص نفسه، أو الوصول إلى مراد الكاتب مثلًا، قد تكون العقبات في الرقابة السياسية للبلاد العربية التي ترفض تداوُل كتاب ينتقدها أو ينتقص من صورتها عند مواطنيها.

■ هناك قول بأن المترجم العربي لا يعترف بدور المحرّر. هل ثمّة من يحرّر ترجماتك بعد الانتهاء، منها؟

بالطبع، أحتاج إلى عين ثانية بعد ترجمة النص، ولا أدفع بالكتاب إلى الناشر إلّا بعد مراجعة، لمرّتين على الأقل، ومروره على أدقّ يهم. لكن، بشكل عام، وظيفة المحرّر في العالم العربي وظيفة حديثة، ولم تُوضع أسس ثابتة لها حتى الآن. لا نعرف، مثلًا، إلى أيّة درجة يمكن للمحرّر أن يتدخّل في النص المترجم، وهل يمكن أن يحذف فقرة أو جملة لأنه رأى أنّها لا تهمّ القارئ العربي.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر. ولا سيما في مسألة اختيار العناوين المترجمة؟

علاقتي مع الناشر جيّدة، وهو أمر مهمّ لسير عملية الترجمة ككلّ. لكنّ معظم الناشرين هذه الأيام يتعاقدون على أعمال يرون أنها قد تحقّق نجاحًا، وقد يستقبلون اقتراحات المترجمين الذين يثقون بهم. أرى أنّ اقتراح المترجم أمر ضروري للغاية، لأن المترجم حين يحبّ عملًا ما، فمن المؤكّد أنه سيبدع في ترجمته.

مبدأي الأساسي هو نقل الكتاب إلى العربية وكأنه كُتب بها

■ هل هناك اعتبارات سياسية لاختيارك للأعمال التي تترجمها، وإلى أي درجة تتوقف عند الطرح السياسي للمادة المترجمة أو لمواقف الكاتب السياسية؟

لأنّني مهتم بالأدب، ولم أترجم غيره، لا أضع اعتبارات الكاتب السياسية في الحسبان. وفي الحقيقة اتجاهلها إذا كان العمل جيّدًا، لكنّني لن أترجم رواية تدعو إلى العنف، أو تحرّض على العنصرية، أو تضرب عرض الحائط بالقيم الإنسانية. كما أن هناك العديد من الروائيين المبدعين لهم آراء سياسية لا نتّفق معها، آخرهم بيتر هاندكه الذي حصل على جائزة نوبل؛ فقد أنكر مذبحة سريرنيتسا التي راح ضحيتها ثمانية آلاف مسلم بوسني، وفنّد مجرمي الإبادة الجماعية وأيّد المذابح العرقية، لكن لا يمكن ألّا نترجم أعماله.

■ كيف هي علاقتك مع الكاتب الذي تترجم له؟

قد أتواصل في بعض الأحيان مع الكتّاب الذين أترجم لهم. في رواية «ملاذ»، تواصلت مع ماركوس لو لأنه كان يرفق أبياتًا شعرية في بدايات الفصول، وأردتُ أن أعرف إن كانت هذه الأبيات له أم لشعراء يفضّلهم. وفي أحيان أخرى، أجد أنّ التواصل مع الكاتب قد يعيق عملية الترجمة، لأنه في هذه الحالة سيتدخّل في عملي.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أحمد ليثي

بطاقة

مترجم وكاتب مصري، من مواليد عام 1989 في القاهرة. صدرت له ترجمتان: «قبل انهيار العالم» (2019) عن «منشورات الربيع»، ورواية «قوّة الطبيعة» (2022) لـ جين هارير عن «عصير الكتب». وتصدر له قريبًا رواية «ملاذ» لـ ماركوس لو.

معرض

عالَم عائلي وآخر سحري

مايا رويز بيكاسو الفنّان وابنتُه

من خلال مجموعة من الوثائق والأعمال الفنّية يُضيء المعرض المتواصل في باريس حتى نهاية السنة علاقة الفنّان الإسباني الراحل بابنته الكبرى

باريس ـ **العربي الجديد**

في الخامس من أيلول/ سبتمبر 1935 وُلدت ماريا دي لا كونسيبسيون؛ ثاني أبناء بابلو بيكاسو بعد باولو؛ ابنه من راقصة الباليه الروسية الأوكرانية أولغا خوخلوفا، والأولى من الفرنسية ماري تيريز والتر التي التقى بها عام 1927، وكانت تصغره بسبعة وعشرين عاماً. وقد شكّل مجيء تلك الطفلة إلى حياة الفنّان الإسباني البارز (1881 - 1973) لحظةً استثنائية فيها. ومثلما الهمه ميلادُ ابنه البكر عام 1921 رؤىً وأفكاراً جديدة حول الطفولة والأمومة جسّدها في كثير من لوحاته، غذّى ميلادُ ابنته الثانية انبهارَه بالطفولة؛ وهو ما انعكس أيضاً في سلسلة من اللوحات التي رسمها بين سنتَي 1938 و1939 وكانت ماريًا موضوعاً في عددٍ منها. كانت مايا رويز بيكاسو، وهو الاسمُ الذي ستُعرَف به أيضاً، الصديقة المفضّلة لوالدها؛ فالطفلةُ، التي ظلّ مجيئُها من علاقة سرّية طيّ الكتمان لفترة طويلة، كانت الشخص الوحيد الذي يسمح له بيكاسو بدخول محترفه في أيّ وقتٍ من النهار أو الليل. هذه العلاقةُ بين الفنّان وابنته يُضيئها معرضٌ بعنوان «مايا رويز بيكاسو: ابنة بابلو» يحتضنه «متحف بيكاسو» في باريس منذ السادس عشر من نيسان/ إبريل الماضي؛ حيث يقترح المعرضُ مجموعةً من اللوحات والرسومات والمنحوتات التي أنجزها بيكاسو في ظلّ تلك العلاقة الأبوية، إلى جانب عددٍ من الصُّوَر والوثائق الأرشيفية التي تُظهر كيف أثّر وجودُها على حياته وفنّه. وقال القائمون على المعرض إنّها المرّة الأولى التي تجتمعُ فيها لوحات الفنّان الإسباني الراحل التي أنجزها بين 1938 و1939؛ حيثُ ظلّت متفرّقة في أماكن مختلفة من العالم. علماً أنّ عدداً من المعروضات هي هبةٌ تسلّمتها الحكومة الفرنسية من مايا رويز بيكاسو في أيلول/ سبتمبر من العام الماضي، في إطار تسوية قضايا ضريبية، وتضمّنت ستّ لوحات ومنحوتتَين ودفتر رسم كان ملكاً لبيكاسو.

يُبرز المعرضُ تأثّر الفنان الإسباني بالخرافة وعلاقته بالموت

يتضمّن المعرض فيلماً قصيراً عن حياة بيكاسو العائلية بعنوان «لغز بيكاسو» للمخرج هنري جورج كلوز (1955)، وفيه مشاهدُ من عُطَل أمضاها مع ابنته جنوبي إسبانيا، ومرافقتها للسباحة أو لحضور مسابقات مصارعة الثيران، وكيف أصبحت مساعدته حين بلغت العشرين من عمرها.

وتتوزّع المعروضات على قسمين؛ يحمل أوّلهما عنوان «عالَم بيكاسو العائلي»، ويضمُّ عشر لوحات رسم فيها بيكاسو ابنته وهي في الثالثة من عمرها؛ من بينها: «مايا مع دميةٍ»، و«مايا مع دمية وحصان»، و«مايا بزي بحّار»، و«مايا في قارب»، و«مايا بالمئزر» (جميعُها رُسمت سنة 1938)، إضافةً إلى كُتب تلوين أضاف عليها رسومات شخصية ورسوم طبيعة صامتة، وصُوَراً ظلّية لحيوانات صغيرة، ومسرح دمى ورقية، ودمية خشبية. أمّا القسم الثاني، والذي يحمل عنوان «علم آثار عائلية»، فيضمُّ رسائل وملابس وإغراضاً ومتعلّقات شخصية لبيكاسو تُظهر تأثّره بالخرافات وعلاقته بالموت والعالَم الميتافيزيقي. من بين تلك المتعلّقات شَعرُ بيكاسو وأظافره المقصوصة التي كان يحتفظُ بها «كحمايتها من الأرواح الشرّيرة». وهذا الجانبُ كان موضوعاً لكتاب مشترك صدر عن «غاليمار» مؤخّراً بعنوان «بيكاسو الساحر»، من تأليف فيليب شارليه وديانا ديدماير بيكاسو؛ حفيدةِ الفنّان والقيّمة على المعرض الذي يستمرّ حتّى نهاية كانون الأوّل/ ديسمبر المقبل.

«مايا مع دمية وحصان»، 1938 (من المعرض)

فعاليات

يستمرّ في «غاليري شريف ثابت» ببيروت معرض **ضوء بعد عتمة** للتشكيلي اللبناني **فيليب فرحات** (1986)، حتى الخميس 12 أيار/ مايو الجاري. يشتغل فرحات على إظهار التفاصيل الفارقة ما بين الظلال والأنوار، مستعيناً في تمثيل الأشخاص، بتقنيات رمزية تتباين فيها الحجوم والألوان.

يُعرض في «قاعة الطاهر الحداد» التابعة لـ«دار الكتب الوطنية» في تونس العاصمة شريط **اغترابات** للمخرج الجزائري **مالك بن إسماعيل**، عند الثالثة من عصر الجمعة المقبل. يعالج العمل مفاهيم ذات علاقة بالأمراض العقلية والصحة النفسية، وعلى خلاف السائد، ينطلق من زاوية المرضى أنفسهم، لتسليط ضوء أكبر على هذه الفئة المهمّشة اجتماعياً. أُنتج الشريط عام 2005.

تنضمّ الحكواتية **سونيا كوسكاس**، يوم السبت المقبل، الى مجموعة من الأطفال لتروي لهم حكايا مستوحاة من الموروث الشفوي العربي، وذلك ضمن فعالية **قصّة العيد**، والتي يُنظّمها «معهد ثقافات الإسلام» في باريس، ويرافقها عازف العود **لحسين بوحوش**. تختص كوسكاس في اساليب التعليم النّشط.

قوّة المتاحف هو اسم الفعالية التي ينظّمها «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت بين 16 و 19 أيار/ مايو الجاري، بالتزامن مع اليوم العالمي للمتاحف، في 18 أيار. تشمل التظاهرة جولات حقيقية وافتراضية وندوات وورش اطفال، في إطار **دعم ثقافة فلسطينية تقوم على بناء المجتمع عبر التعلّم**.